الفصل الثاني

الحقبة الفارسية الأولى
(الأخمينية)

جاء الفرس إلى إيران في فترة متأخرة، نسبة إلى الحقب الأقدم التي ظهر فيها السومريون والأكديون، وكذلك البابليون والآشوريون والآراميون والكنعانيون وغيرهم. والحقيقة المذكورة جعلت دور الفرس في الحضارة يأتي متأخراً وقد اعتمدوا على نتاج الشعوب الأخرى، لا سيما تلك التي ازدهرت في العراق وسوريا.

تمدنا مدوّنات الملك الآشوري «شلمنصَّر الثالث» (858-824 ق.م) بأقدم ذكر ورد عن الفرس، حيث كانوا يسكنون في منطقة «بارسوا» إلى الجنوب الغربي لبحيرة «أرمية» في آسيا الصغرى. إلا أنهم في حدود (800 ق.م) هجروا المنطقة المذكورة بسبب ضغط «الأورارطيين»، مما دفعهم للتوغل جنوباً إلى منطقة «سقز» الواقعة حالياً في كردستان إيران. وعلى الرغم من ذلك استمروا خاضعين للسيطرة الآشورية، إذ إن مدونات الملك «سرجون الثاني» (722-705 ق.م) تشير إلى هذا الأمر. وبعد زهاء القرن من تلك الهجرة نزحوا إلى السهول الممتدة على طول جبال «بختياري». وفي تلك المنطقة اتحدت قبائل الفرس لتشكل دويلة، وقيل إن أول من ترأسها كان شخصاً دعي «أخمينس»، حسب كتابات بهستون الجبلية التي سطرها الملك الأخميني «دارا»[1]. ولوضعهم السياسي الخاص فقد عمد الآشوريون إلى جلب بعض أبناء ملوكهم إلى عواصمهم ليكونوا رهينة لضمان عدم قيامهم بالتمرد[2].

إذاً لم تكن «باريس» التي منها الأخمينيون، والواقعة إلى الشرق وإلى الجنوب من عيلام، «دولة ذات شأن، بل إن القبائل البارسية التي كان بعضها بدواً

١- تاريخ إيران القديم، ص 25-46.
٢- طه باقر؛ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 2، بغداد، 1956، ص 393.

رحلاً والبعض حضر يسكن القرى، لم تكن موحدة، بل الأرجح أنها كانت تؤلف قبائل مستقلة أشبه بدويلات صغيرة، تابعة بالولاء وبالحماية للآشوريين أو للماديين»[1] «أما إلى الشمال من دولة «عيلام» هذه (أي إلى الشرق من آشور)، فكانت تقوم دولة «ماد»، التي كانت في الأصل من قبائل من الجنس الآري (الآرياني) - جعل هيرودوتس عددها ستاً - تدفع خراجاً وضرائب للدولة الآشورية، وتثور عدة مرات، فتخمد آشور عصيانها وتؤدّبها بقسوة»[2].

لقد سكن الفرس إذاً منطقة محدودة في إيران. وفي بداية تشكيل قوتهم السياسية كانت قوة العيلاميين في عربستان، التي كانت في تطاحن مع الفرس، لذلك فإن تدمير آشور بانيبال للعيلاميين قد ساعد في تنامي قوة الفرس.

الأوضاع زمن إمبراطورية بابل الحديثة:

كان مولد إمبراطورية بابل الحديثة (622-539 ق.م) على أثر ضعف وتداعي القوة الآشورية. إلا أنه من المؤسف أن تكون تلك الولادة مرتبطة بتحالف البابليين مع دولة «ميديا» الأجنبية في شمال إيران ضد آشور. وعلى الرغم من أن اليد الطولى كانت لبابل أول الأمر، وبدلالة سماح الميديين لهم بالتوغل إلى أرمينيا[3]، إلا أن ذلك الاسترسال المؤقت في نشوة السيطرة والانتصار، لم يكن البديل عن الوحدة الوطنية مطلقاً. لقد أثبتت الأيام أن زوال قوة الشمال الوطنية كان يعني فسح المجال أمام أعداء العراق لتصفية خصمهم المتبقي بعد أن بقيت المنطقة الشمالية تجوب فيها الذئاب وقطعان الوحش مدة طويلة.

لقد كانت غلطة بابل الحديثة كبيرة جداً كلفت العراق ألف عام من الخضوع للأجانب الدخلاء، وما رافق ذلك من امتهان لحرماته. لقد استولى «كورش» الأخميني على بابل سنة 539 ق.م، وقبّل يد تمثال إله البابليين الأكبر «مردوخ»، وتبعاً لذلك اغرورقت بعض العيون بالدمع لذلك الكرم العظيم الذي كنّه هذا الدخيل، ولكن أثبتت الأيام أن تلك العاطفة المؤقتة لم تكن إطلاقاً البديل عن حكم أبناء البلد أنفسهم من أي نوع كانوا.

على أي حال، بعد غياب القوى العاربية من الساحة، كنتيجة لصراع أبنائها مع بعضهم البعض، صفا الجو للفرس واليونان ليتوغلوا في غيهم وأطماعهم. إلا أننا قبل أن نوغل في الكلام عن العلاقات الفارسية اليونانية

١- لواساني، أحمد؛ مادة: «أخمينيون»، دائرة المعارف (البستاني)، ج 8، 1969- بيروت، ص 13.
٢- المصدر السابق، ص 13.
٣- مؤيد، سعيد؛ «العراق خلال عصور الاحتلال»، في: العراق في التاريخ، بغداد، ص 230.

لا بد من الإشارة إلى العوامل التي أدت إلى تصدع لبنة البناء البابلي، التي يمكن إجمالها بالآتي:

1- كان على إمبراطورية بابل الحديثة القيام بأعباء كبيرة، بعد انحسار الوجود الوطني في الشمال وانقطاع ذلك الدور إثر دمار عواصم آشور.

2- الأجانب المجلوبون إلى بابل ودورهم في تصدع الكيان البابلي وعلى رأسهم اليهود، وهو أمر جعل ملك الفرس يعمد إلى مكافأتهم على أعمالهم التخريبية.

3- الاهتمام بعبادة إله القمر «سن»، إلى جانب «مردوخ»، إله البابليين الكبير، وهو أمر ولّد حقد كهنة بابل. وقيل إن هذا الاهتمام جاء لكون «نابونائيد» آخر ملوك بابل، من أصل «حرّاني»، أي من منطقة أكّدت عبادة إله القمر في أعالي سوريا. وعلى أي حال، كانت هذه العبادة مركزها «أور» السومرية منذ أقدم عهود بنائها.

4- اختلفت المنطلقات التي تبناها «نابونائيد» آخر ملك بابلي عن أسلافه، فعلى الرغم من كونه زوج أخت العاهل البابلي العظيم «نبوخذ نصر» (604-562 ق.م)، إلا أنه كان يعيش أسلوباً لم يألفه البابليون، إذ كان همّه الأساس الاستزادة من العلوم ومعارف الأقدمين، حتى إنه أنشأ متحفاً داخل قصره. أما ذهابه إلى «تيماء»، في جزيرة العرب، مدة إحدى عشر عاماً، فقد فسره البعض برغبته لجمع شمل القبائل العربية ضد التوسع الفارسي[1]. وفسره آخرون بأنه هروب من جو التداعي الداخلي لبابل الذي أوجده اليهود. وعلى أي حال لا يمكن تغليب وجهة نظر من المطروحة على الأخرى، وربما كان كل من الافتراضين صحيحاً، وقد لا يكون هو المقصود. على أي حال، إن كون «نابونائيد» من أهل «حرّان»، في شمال سوريا، وجنوب بلاد الأناضول، ربما جعله يشعر بالانضمام إلى خيمة الوجود العربي الشامل، بدلاً من انضوائه تحت لواء تأثيرات كهنة بابل المحلية، ولولا تسارع الأحداث لربما كان بإمكان «نابونائيد» أن يحدث إصلاحاً للأوضاع عن طريق ضمان ولاء وتأييد الإطار الخارجي للإمبراطورية البابلية، لأنه لو لم يفكر بذلك لسمح لليهود بالعودة إلى مستعمرتهم.

١- الرأي للدكتور صبحي أنور رشيد وقد أبلغني به شفوياً ونوه عن نشره منذ عام 1973، كما جاء في مجلة سومر، م 29، ص 107-150. الرأي الثاني للدكتور نزار الحديثي وقد أدلى به في إحدى محاضراته. كما يرى آخرون بأن ذهابه إلى تيماء للحصول على موارد جديدة من طرق شمال الجزيرة: طه باقر؛ مقدمة؛ ج 1، بغداد، ص 533 - 1973.

الحكم الفارسي:

جاء الفرس إلى حكم الشرق بعد أن تعبت الإمبراطوريات التي نشأت على أرض الفراتين (العراق وسوريا) والمصرية من مواجهة الاحتمالات الداخلية والخارجية. وعلى أي حال، فإن هذه الإمبراطوريات لم تحقق منطلقاً فكرياً جديداً يضمن لها الاستمرار في البقاء، وعلى العكس من ذلك لم تحقق الرتابة التي عاشها الفكر القديم المزيد من المكوث والانتصار لضمان وحدة وطنية أو قومية.

أما بالنسبة إلى اليونان والفرس فقد جاؤوا حديثاً إلى حيز الوجود، وأخذوا بالإفادة من نتاج الشعوب الأخرى. لقد أخذ اليونان ما أنتجه البابليون والآشوريون والآراميون، فضلاً عن قدماء مصر. وعلى الرغم من ولادة ونمو أساطير دورة الحياة السنوية، فإننا لا نجد للمسرح وجوداً في أرض الفراتين ووادي النيل، لأن الأرض والمعبد والقصر تمثل الإطار الفكري لأهل الشرق، وفيها جرت الأحداث ونمت الأسطورة، وجميعها عناصر جرت في عروق الناس ومكثت في دمائهم التي أمست مسرح أفكارهم. أما اليونان فكانت طقوس «تموز» و «عشتار» (ديونيسوس أو باخوس)، وكذا بطولات جلجامش التي تجسمت في إله الحرب وفيه انسلت بطولات «هرقل»[1]، وغيرها من القصص التي ذهبت إلى اليونان، غريبة عليهم، ولم تسر فيهم سريانها في أهل الشرق، لذلك عاشت على منصة يحيطها جدار يقبع أمامها أناس يبكون أو يمرحون ضمن فترة محدودة لم تشأ أن تذهب عنهم لحظة انسدال الستارة، ونعني بذلك نشوء المسرح لديهم.

أما بالنسبة إلى الفرس فالأمر مختلف بعض الشيء، لأن تماسهم بالآشوريين والبابليين كان من خلال أسلوب مختلف عما كان مع اليونان، لذلك كان مسلّماً به أن يخضع الفرس لمؤثرات العراق بشكل أقوى. وعلى أي حال، مهما كان الطريق الذي كانت تلك المؤثرات تعبر من خلاله إليهم، فإنها كانت غريبة عن عقلية الفرس. ويبدو أنه من هنا جاءت نظرة تقديس الفرس لملوكهم وإضفاء الهيبة عليهم أكثر مما ينبغي على اعتبار أنهم قد جلبوا أموراً ومؤثرات بعيدة عن مخيلتهم، لذلك تصوروها هبة السماء إليهم، كما أمست الأرض التي نشأت عليها بمتناول أيديهم. والمنطلق المذكور تكرر في الحقبة الإسلامية حينما زود العرب إيران بمبادئ الدين القويم، ومن حينها أخذ الفرس يهتمون بالدين كطقس أكثر منه ثورة إصلاحية، وقل مثل ذلك عند العثمانيين.

١- الشمس، ماجد؛ «رايات الحضر العربية»، ص 198.

أما فيما يخص طبيعة الحكم الفارسي ومنعطفاته، فإن ما تمّ تبريره من مساوئه يفوق ما تم تغطيته لحكام عديدين. ومن الواضح أن النزعة العرقية والمحاباة للجنس الأوروبي الهندي قد خلّفت العديد من المبررات التي لم تخلق لغيرهم، وقل مثل ذلك عند الرومان، إذ إن ما كتب عن الآشوريين وممارساتهم كان أضعافاً مضاعفة، رغم أن إساءات الرومان كانت إلى حد يفوق التصور. وإنه ليكفي الخُلُق الروماني المنحرف أن يخصص أضخم مبنى في روما، كان يتسع لقرابة مئة ألف متفرج، ومقصورة فاخرة للإمبراطور الروماني لا لشيء إلا للتفرج والاستئناس بقتل الشعوب وإبادتهم على مرأى من الناس ومسمعهم وكذلك استباحة النساء، وكان ذلك ابتداء من قرابة (80) ميلادية، أي في قمة جبروت الحكم الروماني، في حين لم يقم الشرقيون بمثل هذا السلوك الشائن. ومن الغريب، وإن كان ليس كذلك على العقلية الأوروبية، أن الغربيين اختاروا هذا البناء كإحدى (عجائب) الدنيا السبع بديلاً عن «جنائن بابل المعلَّقة»! وشبيه الشيء منجذب إليه.

وفي العهد الأخميني، لو أتينا إلى جوهر الأحداث التي جرت في العراق وحده، نرى أن ما نُسب إلى الفرس من مشاعر «الرحمة» و «الإنسانية» لم يكن صحيحاً. ومع ذلك قال «آربري» في «تراث فارس»:

«ولعل اعتدال الحكم الفارسي كان إلى حد ما عنصراً من عناصر السمو الخلقي الذي تميزت به إمبراطوريتهم على الإمبراطوريات السابقة، والغالب أنه كان من أهم الخصائص التي جعلتها موضع احترام الأجيال المتعاقبة»[1]. أما «جراندي» فقال في موسوعة «تاريخ العالم»:

«ومهما كانت عيوب الحكم الفارسي بعد غلبة الإسكندر المكدوني، فإنه كان نعمة على آسيا الغربية، نعمة لم تتنعم بها من قبل قط، ولم تعهد لها نظيراً منذ ذلك الحين. وكان انهيار هذا الحكم سر مأساة جلبها أولئك الذين حلّت بهم»[2].

أما السيد «أحمد لواساني» فقال:

«وفي الوقت الذي نرى فيه نبوخذنصر البابلي يقتلع بخنجره الشخصي عيني ملك فلسطين في حملته عليها، نرى قورش يفتخر في رقمه بأنه أعلن الأمان لشعوب البلاد المفتتحة، وأنه سمح للكهنة والناس بممارسة شعائرهم الدينية بملء الحرية، ونراه يكرِّم أخصاءه من الملوك الذين أسرهم من ماد وليديا وبابل»!![3].

١- آربري؛ تراث فارس، ترجمة مجموعة من الأساتذة، ص 35.

٢- جراندي؛ «الغرب وإمبراطورية الشاه»، تاريخ العالم، ج 2، ص 463.

٣- لواساني، أحمد؛ مادة: «أخمينيون»، دائرة المعارف (البستاني)، ج 8، 1969- بيروت، ص 16.

وقال «آربري» أيضاً: «فقورش وقمبيز حكموا بابل كما حكمها ملوك بابل، وحكموا مصر كما حكمها الفراعنة»![1]

أما قرائن الأمور فلا تشير إلى ما سبق للبعض التقول به كما يقول «ول ديورانت» في «قصة الحضارة»:

إن الذي يدهشنا بحق هو ما بقي لدى الميديين والفرس من وحشية رغم دينهم هذا (أي الزرادشتية). انظر إلى ما كتبه دار الأول أعظم ملوكهم في نقش بهستون:

«وقبض على فرافارتش وجيء به إلي. فجدعت أنفه، وصلمت أذنيه، وقطعت لسانه، وفقأت عينيه، وأبقيته في بلاطي مقيداً بالأغلال يراه كل الناس. ثم صلبته بعدئذ في آكباتانا... وكان أهورامزدا أكبر معين لي، فقد بطش جيشي برعاية أهورامزدا بالجيش الثائر. وقبضوا على ستر نكخار وجاؤوا به إلي، فجدعت أنفه، وصلمت أذنيه، وفقأت عينيه، وبقي مقيداً بالأغلال في بلاطي يراه الناس جميعاً، ثم صلبته»[2]. ثم يستمر «ديورانت» بالقول: «وإن في حوادث الإعدام التي يقصها أفلوطرخس في سيرة أرتخشتر (أي أرتحششتا) لصور مروعة لما كانت عليه أخلاق ملوك الفرس في العهد الأخير. لقد كان الخونة يقضى عليهم بلا رحمة ولا شفقة، فكانوا يصلبون هم وزعماؤهم، ثم يباع أتباعهم بيع الرقيق، وتنهب مدنهم ويخصى غلمانهم، وتسبى بناتهم ويبعن»[3].

وقال أيضاً: «وليس في التاريخ كله ما مثّل المجازر المروعة والدم المراق الذي تطالعنا به سجلات الفرس الملكية إلا سجلات روما بعد تيبيريوس»[4].

بالنسبة إلى العراق، وفي عهد كورش، فقد تم إحراق «أكد» بالنار[5]. كما ذبح المحتلون ابن الملك البابلي بيلشازار[6]. أما قمبيز الثاني (529-522 ق.م)، فقد حاول أن يقلّد سياسة أبيه «إلا أن فشله في غزو ليبيا والواحات المصرية الغربية جعله يحنق على هذه الشعوب المغلوب على أمرها، ويقتل كل من حواليه، ويفتك بزوجته وبأخيه ثم ينتحر»[7]. أما أحشويرش الأول (484-482 ق.م) فقد عاقب سكان بابل عقوبة ضارية «فخرب مدينتهم وهدم زقورتهم وصهر التمثال الذهبي للإله مردوخ وتخلى عن لقب (ملك بابل) ليؤكد بذلك تخفيف درجتها الإدارية إلى إقليم ثانوي»[8]. في حين شجع أرتحششتا الأول (465-425 ق.م.) الفرس «على

١- آبري؛ تراث فارس، ص 32.
٢- ديورانت؛ قصة الحضارة، ج 2، ص 438، مصر، 1961. (ترجمة محمد بدران).
٣- المصدر السابق، ص 438.
٤- المصدر السابق، ص 455.
٥- الأحمد، سامي سعيد؛ في: الصراع العراقي الفارسي، بغداد، 1983، ص 80.
٦- المصدر السابق، ص 82.
٧- مؤيد، سعيد؛ «العراق خلال عصور الاحتلال»، في: العراق في التاريخ، بغداد، ص 237.
٨- المصدر السابق، ص 240.

الاستيطان في بلاد بابل، ولا سيما طبقة الكهنة المجوس. وصارت إرادة الولاية مقتصرة عليهم، وأقطعهم الأراضي وفرض الضرائب الباهظة على السكان»[1].

ويقول الدكتور مؤيد سعيد: «ولكي يتم عزل القصر عن المدينة العامة لجأ الفرس إلى تحويل مجرى الفرات من «غرب القصر إلى شرقه ثم جنوبه، فقطعوا بذلك شارع الموكب، ليجردوا البابليين من قدرتهم على احتفالات رأس السنة البابلية التي كانت جزءاً من الصفة الدينية المقدسة للمدينة»[2]. ويشير أيضاً إلى أن تدمير المعابد وقتل الكهنة قد جعلهم ينطوون على أنفسهم، مما جعلهم ينصرفون إلى العلم، وتكوين نواة فكرية جديدة أتت ثمارها في العهد السلوقي الذي تلا الأخميني. وهذا ما يوضح العثور على العديد من الرقم الطينية العلمية في الفترة المذكورة بعد غزو الإسكندر المكدوني القطر.

أما إذا أتينا إلى تردّي الوضع الاقتصادي في العصر الأخميني، فمن الممكن الاستعانة بما ذكره المؤرخ اليوناني «هيرودوتس»، الذي عاصر الفترة. ويحدثنا عن «بيع العوائل لبناتها بالمزاد العلني أو رقيقاً للمعبد، فهذه القصص تشير إلى وضع عام سيئ ومعاناة هائلة للشعب البابلي. وعلى العكس كان الغزاة يعيشون مرفهين دون وازع»[3]. كما وتذكر المصادر تفشي أعمال السخرة، ولا سيما تنظيف القنوات، وعن العديدين الذين لاقوا حتفهم في الأعمال الإجبارية أو هربوا منها[4].

وكان المواطن العراقي يدفع الضرائب الباهظة حتى عن التنقل بأنهاره ودخول بوابات المدن[5].

ونظراً للوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي السيئ أثناء غزو الفرس، فقد تحرك العراقيون ضد الأجنبي، فذكرى نبوخذنصر «كانت تثير المشاعر القومية لدى الكلديين (أي الكلدانيين)، الذين أصبحوا - ولاسيما بعد جنون قمبيز - يدركون الفرق بين ملكهم نابونائيد السيئ الحظ وبين هؤلاء الملوك الغرباء، فانتهزوا الفرص للتعبير عن مشاعرهم القومية»[6]..... من ذلك ثورتهم بقيادة سيرديس[7] وأراقا[8]، وكذلك بيل شماني وشومي - اربا[1].

١- مؤيد، سعيد؛ «العراق خلال عصور الاحتلال»، في: العراق في التاريخ، بغداد، ص 240.
٢- المصدر السابق، ص 241.
٣- المصدر السابق، ص 241.
٤- الأحمد، سامي سعيد؛ في: الصراع العراقي الفارسي، ص 83.
٥- المصدر السابق، ص 83.
٦- مؤيد، سعيد؛ «العراق خلال عصور الاحتلال»، في: العراق في التاريخ، بغداد، ص 238.
٧- المصدر السابق، ص 238.
٨- المصدر السابق، ص 239.

بعد غياب الوجود العاربي عن الساحة السياسية أخذت الكتلة الهندية الأوروبية بالظهور واحتلال مكانها السياسي في الشرق وجانب من أوروبا. لقد تمثّل ذلك الوجود بالتحرك الأخميني الفارسي في الشرق واليونان في الغرب، ثم تحركه تجاه الشرق زمن الإسكندر المكدوني. وعلى الرغم من أن كلاً من الفرس واليونان ينتمون إلى أصل عرقي مشترك تقريباً، إلا أن اختلاف كل من العقليتين، والتكالب على الأطماع، أجج الحروب بينهما. على أي حال، إن استعراض أحداث القرن الخامس ق.م. يوضح لنا ذلك.

كان اليونان يعيشون ضمن دويلات مجزأة تناحر بعضها[٢]. ومع ذلك فإن دخولهم مع الفرس في صراع، جلب للفرس سوء الظن بشجاعتهم إلى درجة أنهم «لم يذكروا لنا شيئاً عن أخبار تلك المعارك، ذلك لأن نتائجها لم تكن تتناسب، ومكانة الإمبراطورية الأخمينية آنذاك»[٣].

كان اليونان منتشرين في الأجزاء الغربية لبلاد الأنضول. وقد سموا بالأيونيين، في حين كان «الدوريون» يسكنون شبه جزيرة اليونان نفسها، فضلاً عن جزر عديدة في البحرين المتوسط والأسود. أما مبررات الحرب بين الفرس واليونانيين فقد بدأت بثورة قامت بها المدن الأيونية ضد حكم ملك الفرس «دارا».

وعلى أي حال، يرى البعض أن السبب الحقيقي لثورة المدن الأيونية غير معروف، إلا أن بعض المؤرخين يرى أن حاكم هذه المدن والمدعو «أريستاكوراس» اتفق مع حاكم ولاية «ساردیس» الفارسي على احتلال جزيرة «ناكسوس»؛ وأن الحملة التي جهزها هذان الحاكمان قد فشلت في تحقيق الهدف المنشود، لذلك خشي الحاكم عقاب «دارا»، ومن ثم قرر الثورة على الحاكم الفارسي[٤]. لقد شرع «الأيونيون» باحتلال «ساردیس»، عاصمة «ليديا»، وأوقعوا فيها الحرق والسيف، ومن ثم أعلنت مدن يونانية عديدة

١- المصدر السابق، ص 239.
٢- مر التاريخ اليوناني بالمراحل التالية:
أ- عهد الملوك 1100-750 ق.م.
ب- عهد النبلاء 750-650 ق.م.
ج- عهد الطغاة 650-525 ق.م.
د- عهد الديمقراطية 525-400 ق.م.
٣- تاريخ إيران القديم، تأليف مجموعة كتاب، بغداد- 1979، ص 62-63.
٤- تاريخ إيران القديم، تأليف مجموعة كتاب، بغداد- 1979، ص 62-63.

تأييدها تخلصاً من النير الفارسي. وبناء على ما جرى فقد قرر الفرس القيام بحملة عسكرية. لقد بدأ «دارا» خطته بإرسال رسله إلى مدن يونانية كثيرة، ومنها «أثينا» و «إسبارطة» صاحبتا المكانة السياسية المتميزة، لمنحه مزيداً من الأراضي والممرات المائية في منطقتهم. إلا أن «إسبارطة» و «أثينا» لم تمتثلا لمطامع الفرس، وبدلاً من تأييدهما قتلا رسل الفرس، مما دفعه إلى عقاب «أثينا». وقيل إن الحملة التي جهزها «دارا» تقدر بخمسة وعشرين ألفاً، وذلك عام 490 ق.م. وعند وصول الحملة إلى اليونان قررت «أثينا» الدفاع بمفردها بما تمتلكه من جيش متواضع. ومع هذا وجه ضربة كبيرة للفرس. ومن الطريف الإشارة إلى أن أحد اليونان الذين ذهبوا ليبشر قومه بانتصار «أثينا» المتواضعة على الفرس، أخذ بالركض من المعركة إلى مدينته لإبلاغ سكانها بانتصارهم في معركة «ماراثون». وبعد وصوله إليهم وقع ميتاً، لذا قيل بأن سباق ركض «الماراثون» قد جاء تخليداً لهذا الحادث[1]. إلا أنه عند مجيء «أحشويرش» الأول (486-464 ق.م) قرر تنفيذ خطة والده في أطماعه، وجمع أربعة أضعاف ما جهز والده من الجند، وفضلاً عن ذلك قادهم بنفسه. ومع هذا فإن شجاعة الفرس لقيت من المهانة الشيء الكثير في معركة «سلاميس» التي دارت عام (480 ق.م)، وهذه الأمور جعلتهم يتخلون بشكل نهائي عن احتلال اليونان.

١- المصدر السابق، ص 64.